

فصل الخطاب في قضية السيوف

على جنود الكتاب والسنة

د. محمد الشفيق محمد صالح

الاستاذ المساعد في التفسير وعلوم القرآن
بكلية أصول الدين والدعوة بشيخ السكوك

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على أشرف المرسلين . سيدنا
محمد النبي الأمين . وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد . . .

إن من نعم الله علينا نحن - المسلمين - أن جعل لنا الإسلام دين
حقائق لا دين خرافات وأساطيل . وقد هدانا الحب والتأخي والتآلف وكل
الثمار الطيبة التي تليق من الإيمان الذي حياه إلينا الله وزيّنه في قلوبنا .
وقد هدانا الله إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، وكل ما يؤدي إلى هذه
الخصال المذمومة ، وما يؤدي إلى الوقوع فيها السحر ، وقد هدانا الله إلينا
ونفّرنا منه ، ولكن غريباً من الناس الذين حجب الله عنهم نور الإيمان
لا يقيمون الدين وزناً وهداهم [بذلك] الناس والإضرار بهم وسلوك كل
وسيلة تحقق لهم ذلك وكأنهم لم يسمعوا الأثر الكريم [لا ضرر ولا ضرار]
وهؤلاء هم السحرة الأشرار الذين يفرقون بين المرء وزوجه ، ويلشرون
بكيدهم الفزع والخوف فيمن يترددون عليهم ، وسلاحهم في ذلك المسكر
والدهاء وهداهم التفجير باليسطاء ، يجتذبون إليهم الفاسد الرجال ، ويبتزون
منهم الأموال .

ومن العجيب أن ينتشر مثل هؤلاء السحرة والذجالون في وطننا الإسلامي وأن يكون لهم نشاط ضامض في مدته وقراءه ، وهذه ظاهرة مؤسفة تدور في خفاء وتسكن بأساليب ضامضة ، ومعالجات مثيرة ، وما زال العالم الإسلامي يتعرض لموجات متلاحقة من الغزو الفكري ، يترأى لنا بعضها في تلك الوثنيات الجديدة ، والشعوذات القديمة واستغلال حسن خان الناس وفطرتهم البريئة ، ودور علماء الإسلام هام وضروري في غرس العقيدة الطاهرة السليمة ، وهي عقيدة الإسلام البعيدة عن الخرافات والشعوذات في نفوس الناس .

وقد اخترت أن يكون موضوع هذا البحث قضية السحر ، في ضوء الكتاب والسنة آملاً أن أستطيع بتوفيق الله تعالى أن أعرض آراء علماء الإسلام في كل ما يتعلق بموضوع السحر من مسائل ، وأن أرجع منها ما يستحق الترجيح . وأسأل الله التوفيق في بلوغ هذا الهدف فهو نعم المولى ونعم النصير .

وصلّى الله على سيدنا محمد النبي الأُمّي وصلّى الله عليه وسلم .

ذكر

عبد المنعم بدوي رباح

السحر في اللغة : السحر مصدر سحر يسحر سحرأ . ولا يوجد مصدر
لفعل يفعل على وزن فعل إلا هذا (١) فهو مصدر شاذ .

وقال الأزهري : وأصل السحر صرف الشيء من غير حقيقته إلى غيره ،
فكان الساحر لما أرى الباطل في صورة الحق خيل الشيء على حقيقته (٢) .
وقد سحر الشيء من وجهه ، أي صرفه .

قال الجوهري : كل ما لطف ودق فهو سحر يقال : سحره أي دبره
يدق عليه ويخفي ، ويقال سحره — خدعه (٣) .

ومنه قول امرئ القيس :

أرانا موضعين لأمر غيب ونسحر بالطعام وبالشراب
عصافير وذبان ودرد وأجراً من جلحة اللذاب
أي تغذى ونخدع (٤) .

وقال الجوهري أيضاً : والسحر الأخذه وكل ما لطف مأخذه ودق فهو
سحر وسحره بمعنى خدعه .

وقال القرطبي : السحر : قيل أصله التورية بالحيل والتخايل وهو أن
يفعل الساحر أشياء ومعاني فيخيل للسحور أنها بخلاف ما هي به .

كالذي يرى الشراب من بعيد فيخيل إليه أنه ماء . وكذا كب

(١) البحر المحيط لأبي حيان ج ١ ص ٣١٩

(٢) لسان العرب لابن منظور ج ٢ ص ١٩٥٢

(٣) البحر المحيط ج ١ ص ٣١٩

(٤) لسان العرب ج ٢ ص ١٩٥٢

(٥) — حوالة أصول الدين — ص ٧٤

السفينة السائرة سيرا حقيقياً يحيل إليه أن ما يرى من الأشجار والجبال
سائرة معه .

وقيل : هو مشتق من سحرت المصبي إذا خدعته وكذلك إذا حالته ،
والسحير مثله .

قال لييد :

لأن لسألينا فيم نحن قاننا عصفير من هذا الأنام المسحر (١)

وقال الألوسي : السحر في الأصل مصدر : سحر ، يسحر ، بفتح العين
فيهما إذا أبدى ما يندق ويخيل وهو من المصادر النفاذة ، ويستعمل فيهما إذا
لطف ونحن سببه والمراد به أمر غريب يشبه الخارق .

وفي الحديث : « إن من البيان لسحراً » .

فسمى النبي ﷺ بعض البيان سحراً لأن صاحبه يوضح الشيء المشكل
ويكشف عن حقيقته لحسن بيانه وبلاغ عباراته (٢) .

وتسمية البيان الرائع سحراً هو من قبيل المجاز لا الحقيقة . فالخطيب
يستميل القلوب بحسن بيانه وروعة إداائه وجمال تعبيره كما يستميل الساحر
قلوب الحاضرين إليه بحفنة ورشاقته وتمويهه على الحاضرين ، ولذلك يسمى
البيان سحراً .

والسحر أيضاً من الترميم وسميت بذلك لحفاتها ولطف مجاريها . ومنه
حديث السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : « توفي رسول الله ﷺ بين
سحري ، وسحري . أي مات رسول الله ﷺ وهو مستند إلى صدرها .

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠ - ١٣٤

(٢) تفسير الألوسي ٢٠ - ٢٣٨

وإذا أطلق لفظ السحر أفاد ضم فاعله ، قال تعالى : وسجروا أصين
الناس ، وقال تعالى : يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى . يدعى سحرها عليهم
حتى ظنوا أنها حيواناتهم ومصيبتهم تسعى . وقد يستعمل مقيداً في ما يمدح
ويحمد .

تعريفه شرعاً : لفظ السحر في الشرع يختص بكل أمر يخفى سببه
ويشغل على غير حقيقة .

وهو قول أو فعل يترتب عليه أمر غارق للعاده ويعتد بهل وسائل من
الرق والعرائم وما أشبهها .

أنواع السحر : بين الفخر الرازي أنواع السحر ونحن نذكرها بإيجاز
لفقول :

الأول : سحر الكلدانيين والكمندانيين .

وهم الذين كانوا يعبدون الكواكب السيارة ، ويعتقدون أنها المدبرة
للعالم .

وهم الذين بحث لإيهام الخليل إبراهيم عليه السلام ببطلان لقائهم ورأوا
للمصير .

الثاني : سحر أصحاب الأرواح والنفوس القوية ، وقد استدل على أن
لهم تأثير في الإنسان بأنه قد يسير شخص على جسر موضوع على
الأرض ولا يستطيع السير عليه إذا كان موضوعها على نهر مثلاً .

ومن المعلوم أن بعض النفوس بها من القوة ما تستطيع بها التأثير في
غيرها .

الثالث : الاستمالة بالجن . والسحرة يتصلون بالجن عن طريق عرائنهم

ورق وغالبا ما يكون فيها من الألفاظ الكفرية والأعمال المخافية للإسلام
وهم يسترون ذلك بأعمال من الذخن والتخمير وغير ذلك .

الزابع : التخييل والخذاع : وذلك كما يفعله بعض المشعوذين حيث يريدون
أنه ذبح صفورا ثم يركبه بعد ذبحه وقد طار وذلك لحفة حر كته ،
والمنذبح في الحقيقة غير الذي طار لأنه يكون معه أثنان قد خبا أحدهما
وهو للذبح وأظهر الآخر .

وقيل : أن سحر مسجرة فرعون كان من هذا النوع .

قالوا : كانت مصيهم وجبا لهم المصنوعة من جلد بحوفة فحشوها زئبقا
وعفروا تحت الموضع أسرابا ملثما نار فلما طرحت عليها الحبال والعصى
وحى الزئبق تحركت لأن من شأن الزئبق التمدد بالحرارة ، فليل للناس
أن هذه الحبال والعصى حيات تتحرك وتسير .

الخامس : السكينة والعراقة بطريق التواعا : وذلك كما يفعله العرافون
والمسكان حيث يوكون أناسا بالإحلاخ على أمرار الناس حتى إذا جام
أصحابها أخبروهم بها ويرحمون أنها من حديث الجن لهم .

السادس : السعي بالقيمة والوشاية بها : وهي بلاغات وإفساد وتضريب
من وجوه خفية لطيفة وذلك هام شائع في كثير من الناس .

وقد حكى أن امرأة أرادت إفساد ما بين زوجين فصارت إلى الزوجة
فقلت لها أن زوجك معر من عندك وقسمه سحر وهو مأخوذ منك
وسأسحره لك حتى لا يريد فترك ولا ينظر إلى مواءك ولكن لابد أن
تأخذني من شعر تحلقه بالموس ثلاث شمرات إذا قام وتطبخها فإن الأمر
يتم بها ، فافترت المرأة بقولها وصديقتها ثم ذهبت إلى الرجل وقالت له أن
إمرأتك قد علفت رجلا وقد عزمت على قتلك وقد وقفت على ذلك من

أمرها فاشفقت عليك ولزمني نصحتك فبقيت قائما عزمت على ذبحك بالملوس
لما في أمرها شك : فتناوم الرجل في بيته ، فلما ظنت امرأته أنه نام عمدت
إلى ملوس ساد وهو به لتعلق من حلقه ثلاث شمرات ففتح الرجل عينه
فراها وقد أموت بالملوس إلى حلقه فلم يشك في أنها أرادت قتله فقام
فقتلها ، فبلغ الخبر إلى أهلها فجاؤا فقتلوه .

وهكذا كان الفساد بسبب الوشاية والتمويه

السابع : الأدوية وخراص الأطلعة : فبعض الأدوية لها خصائص
معيّنة على جسم الإنسان وعقله وتؤثر في فكره فإذا تناولها شخص تصرف
تصرفا غير سليم فيقول الناس : به من أو أنه مسحور .

الثامن : تعلق القلب بشخص معين : فقد يتعلق شخص ما بالإنسان يطاعه
طاعة عباء حتى كأنه سحره .

وهذا النوع قد يرجع إلى نوع أصحاب النفوس الضعيفة وقائمين
النفوس القوية عليها .

هل السحر حقيقة وتأثير

هذه مسألة اختلف فيها العلماء . فذهب جمهور العلماء من أهل السنة إلى أن السحر له حقيقة وتأثير .

وذهب المعتزلة وبعض أهل السنة إلى أن السحر ليس له حقيقة في الواقع ، إنما هو خداع وتوهم وتضليل وأنه من باب المشعوذة وقد أستدل الجمهور على ما ذهبوا إليه بأدلة منها :

١ — قول الله تعالى : **مَسَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاوَزُوا بِالسِّحْرِ عَظِيمٍ** . فقد دلت الآية على إثبات حقيقة السحر .

٢ — قوله تعالى : **فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ** . فقد أثبتت الآية أن السحر حقيقة وتأثير حيث أمكن السحرة أن يفرقوا بين المرء وزوجه بواسطة .

٣ — قوله تعالى : **وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ** . فقد أثبتت هذه الآية الضرر السحر ولكنّه متعلق بمشيئة الله تعالى .

٤ — قوله تعالى : **وَمَنْ شَرَّ الْفَاسِقَاتِ فِي الْعَقَدِ** . فقد دلت الآية على أن السحر أثر حتى أمرنا أن نتعوذ بالله من شر السحرة الذين يفتنون في العقد .

٥ — وأستدلوا بما جاء في الحديث الشريف أن يهوديا سحر النبي ﷺ وهو حديث مروي في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها . ونص الحديث الشريف كما رواه البخاري في صحيحه :

« عن عائشة رضي الله عنها قالت : سحر رسول الله ﷺ رجل من

بن زريق يقال له ليبد بن الأصم حتى كان رسول الله ﷺ يحيل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله ، حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو ضدى لسكته دعا ودعاهم قال : يا عائشة أشعرت أن لله إثنائي فيما استغث به ؟

إثنائي رجلان ففقد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي ، فقال أحدهما لصاحبه : ما وجع الرجل ؟ فقال مطبوب ، قال : ومن طبه ؟ قال : ليبد بن الأصم قال في أي شيء ؟ قال : في مشط ومشاطه وجف طلع نقطة ذكر قال وأين هو ؟ قال في بئر ذروان فانماها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه فجاء فقال : يا عائشة كان ماها انقاعة الحناء وكان رؤوس نعلها رؤوس الشياطين ، قلت : يا رسول الله أفلا استخرجت ؟ قال : قد عافاني الله فكرهت أن أثير على الناس فيه فمرأ فأمر بها فدفنت ، (١) .

واستدلوا على أن للسحر حقيقة وتأثير بدليل عقل وهو أن العقل لا ينكر أن الله قد يفرق المادة عند نطق الساحر بكلام ملفق أو تركيب أجسام أو مزج بين قوتين على تركيب مخصوص ونظير ذلك ما قطع من حراق الأطباء من مخرج بعض العقاقير ببعض حتى يتقلب العضار منها بمفرده فيصير بالتركيب نافعا .

وبما روى أن بن عمر رضى الله عنهما ذهب إلى خبير ليخرص ثمرها فصوره إليهم فالتفتت يده فأجلام عمر .

وجاءت امرأة إلى عائشة رضى الله عنها فقالت : يا أم المؤمنين ما على المرأة إذا حقلت بعمرها ؟ فقالت عائشة ولم تفهم مرادها توس عليها شيء ،

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج (٢١) ص ٥٣٩ - ٢٧٢ طبعه
الكتبات الأزهرية .

فقلت إني عقلت زوجي عن النساء فقالت عائشة رضي الله عنها أخرجوا هذه الساحرة (١).

فإن قيل كيف أثر السحر فيه عليه السلام مع أن الله تعالى قال له وأنت بمعصمك من الناس أجيب على ذلك بأنه إنما أثر السحر في رسول الله ﷺ مع قوله تعالى والله بمعصمك من الناس إنما لأن المراد منه عصمة القلب والإيمان دون عصمة الجسد كما يرد عليه من الحوادث الدنيوية ، ومن ثم سحر وشج وجهه وكسرت رباعيته ورمى عليه الكرش والتراب وأذاه جماعة من قريش وإما لأن المراد عصمة النفس من الإغترالات دون العوارض لأنه ﷺ كان يحرس فلما نزلت الآية أمر بتترك الحرم .

هذا وقد اختلف القائلون بأن للسحر حقيقة وتأثير في كيفية تأثير السحر ، فذهب بعضهم إلى أن تأثير السحر لا يتعدى تغيير المزاج فيكون فرساً من الأمراض .

وذهب بعضهم إلى أنه يستطاع بالسحر قلب الأعيان بحيث تنتهي إلى الإحالة بحيث يصير الجاد حيواناً مثلاً أو ملكه ، والذي عليه الجمهور هو الأول ، وذهبت طائفة قليلة إلى الثاني فإن كان بالنظر إلى القدرة الإلهية فسلم وإن كان بالنظر إلى العقل فهو محل الخلاف فإن كثيراً من يدعى ذلك لا يستطيع إقامة البرهان عليه .

وقيل أن تأثير السحر لا يريد على ما ذكر الله تعالى في قوله « يفرغون به بين المرء وزوجه » لكون المقام مقام تهويل فهو جاز أن يقع أكثر من ذلك لذكر .

قال الخازن والصحيح من جهة العقل أنه يجوز أن يقع أكثر من ذلك . وقال الآية ليست فصاً في منع الزيادة ولو قلنا أنها ظاهرة في ذلك (١) .

أما أدلة المعجزة على ما ذهبوا إليه فيمكن تلخيصها فيما يأتي

١ - استدلوأ بقول الله تعالى « وسحرُوا أعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَغْبِهُمُ »
هذه الآية التكريهية تدل على أن السحر إنما كان للأعين لحس .

٢ - واستدلوأ بقوله تعالى « يَحْيِي لَّهُ مِنَ السَّحَرِ مَنْ أَتَى » .
فهذه الآية تؤكد أن السحر كان تحيلاً لا حقيقة له .

٣ - واستدلوأ بقوله تعالى « وَلَا يُلْغِ السَّاحِرُ جِذْمَ رَبِّهِ » .
الآية تدل على أن الساحر لا يمكن أن يكون على حق لدى العلاج عنه .

٤ - وبما استدلوأ به أيضاً المحقرون فقالوا : لو قدر الساحر أن يمشي على الماء أو يطير في الهواء أو يقاب التراب إلى ذهب على الحقيقة لبطل التصديق بمعجزات الأنبياء وإلتبس الحق بالباطل فلا يعرف الحق من الساحر لأنه لا فرق بين معجزات الأنبياء ومعجزات السحرة وأنه جميعه من نوع واحد .

ويجاب على الدليل العقلى لدى استدلال به المعجزة ومن وافقهم في إنكار أن السحر حقيقة وتأثير يبين الفرق بين المعجزة والسحر صبيان الفرق بينهما يتضح أن زعم القائلين بأن السحر ليس له حقيقة أو تأثير لأنه سيؤدي إلى احتلال السحر بالمعجزة داخل لا أساس له من الصحة ويمكن رجوع الفرق بين السحر والمعجزة فيما يأتي

أن المعجزة محدودة وشروطها بمنع ظهورها على يد الكاذب بل أهل مخالف السحر في حقيقته وماهيتها الذي قد يظهر على يد المتنبئ الكذاب ويمكن إجمال الفرق بين السحر والمعجزة فيما يأتي :

أولاً : المعجزة تكون من فعل الله تعالى وبإيجازه ، وأما السحر فيقع بعمل الساحر ومباشرة أسبابه .

وقصد من عد أن المعجزة تخالف السحر في مصدرها فهي واقعة من الجواب ، لا هي مباشرة وليس للنبي أي مدخل لهم إلا الغلب والدعاء قال تعالى : « وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله » (١)

وقال تعالى : « قل إنما الآيات من عند الله » (٢) .

وكثيراً ما كان المشركون يفترون على النبي ﷺ أن يأتيهم القرآن أو يبدله ، هرد عليهم أن ذلك ليس من شأنه وليس في مقدوره ، بل الله وحده هو الذي يتصرف في الآيات بإيقاعها أو عدم إيقاعها .

قال تعالى : « وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات لقال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي أن أتبع إلا ما يوحى إلي أنى أحلف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم » (٣) .

هذه حقيقة بينه في المعجزة بخلاف السحر فإنه يقع بعمل الساحر ومباشرة أسبابه السحرية سواء كان يقترب إلى الشياطين وطلب المعونة منهم في إعمار سحره ، أم بواسطة خدشات في نفسه مع فعل أسباب من رقى وعرائم وشعوذة وغير ذلك ، هو معروف لدى السحرة ، وبهذا يظهر شامع البون بين المعجزة والسحر ، وكيف يقف أو يبارى ما كان من فعل الله تعالى وبإيجازه وبثأيمه مع ما كان من عمل الساحر الكذاب بمباشرة أسبابه وبما على رداءته ، فالمعجزة من فعل الله مباشرة والسحر من عمل العبد كسباً .

ثانياً : المعجزة تكون خارقة للعامة بمعنى أنها تأتي بخلافه للقوانين

(١) سورة الزمر ٣٨ سورة قاهر ٧٨

(٢) سورة العنكبوت ٥٠ . (٣) سورة يونس آية ١٥

الطبيعية وحواص المادة المألوفة في الكون ، وأعمال السحر فلا يكون حارقاً للعادة السكونية المألوفة والمسرود من هذا أن الله سبحانه وتعالى خلق هذا الكون ورتبه ونظمه وأودعه صفات ثابتة لا تتغير ولا تفقد إلا لمن سبها وعطرها فلا يقدر الخلق على تغيير سنة الله الدائمة في الكون ، فإذا أراد الله جنت قدرته أن يؤيد رسالة بالمعجزات جاءت مباشرة من غير إعتداد على تلك الأمم والقراءين الطبيعية فهي بالتالي حارقة لها ومن هنا صحت تسميتها بخوارق العادات وربما وقعت المعجزة على هذا الوجه الحارق لأنها بمثابة الشهادة على السحرة بوجوب أن تكون مخافة لدألوهم عند العبادة ، وليس السحر لا يكون حارقاً بهذا المعنى . أى أنه لا يخرج عن قوانين الطبيعة وسنن الحياة ، فهو بالتالي أمر طبيعي لا يخرج من مقدور العباد ، وإن كان قد يسمى حارقاً للعادة فهو من باب التجوز لا الحقيقة .

يقول ابن تيمية : ولما كان الذين يعارضون آيات الأنبياء من السحرة والكهان لا يأتون بمثل آياتهم بل يتكلمون ببعضها شبه كشبه الشجر بالقرآن (١) .

ويقول الألوسي : والسحر في الأصل مصدر سحر - يسحر - يفتن العين فيهما إذا أبسى ما يدق ويخفى ، ويستعمل فيما لطف وحفى سببه ، والمراد به أمر غريب يشبه الحارق وليس به ، وإذا يجرى فيه التعليل ويستعان في تحصيله بالتقريب للشيطان بإرتكاب القساح ، وهذا يتضح لنا أن السحر ليس بخارق للعادة وربما قد يشبه الحارق لإختلاف سببه ودفعه مأخذه .

إذا لو كان حارقاً لكان مساوياً للمعجزة ، ولا أدى ذلك إلى إبطال دلالة المعجزة .

ثالثاً : المعجزة لا تقال بالكسب والتنظم وأما المعجز فقد يقال بالكسب والتنظم . وبين هذا أن المعجزة تخالف السحر في طريق حصولها فلا تحصل المعجزة بالطلب أو الكسب أو الإحتيال والتنظم لأنها منحة إلهية وهبة ربانية يظهرها الله تصديقاً لإيمانه المرسلين فهي تقع على وجه قد لا تدرك العقول فلهذه وهذه السبب من عدم دخولها في إطار الكسب والتنظم لأن ما لا تدرك العقول لا يمكن تحصيله بالتنظم ولا بسببه ، فكذلك لا يمكن وقوعه من طريق العبادة وهذا بخلاف الأمور السحرية فإنها قد تنال بالكسب والتنظم لأنها داخلية في أهداف العبادة ولها أسباب معروفة تدركها العقول وتستوعبها الأنفهام لمن طالعها . ومضى في تحصيلها فهي بالتالي تعتبر في تعداد الأسباب الكونية العادية التي تجري بمقتضى العادة الإلهية بترتيب مسياتها هي أسبابها .

يقول بن تيمية : وآيات الأنبياء لا يقدر أحد أن يتوصل إليها بسبب والسحر والسكينة مما يمكن التوصل إليه بسبب (١) .

فمن أراد أنقضا سلك مسالك أهلها واجتمع عملها فيحقق نتائجهم أو يتفوق عليهم ، فهي فنون تخرم روادها بالتفريح والتنم والمزاولة (٢) .

وبهذا نعلم أن كيفية حصول المعجزة تتجاربها العقول وتبطل بها الأنفهام، فهي إذا بعيدة المجال بهرق الكسب والإحتيال وأما السحر فهو عربى المأخوذ من الكتاب لأن أسبابه معروفة وطرقه معروفة وليس فيه أعجاز للعقول وأن عجرت منه بعض العقول فلا تعجز عنه جميعها .

راجعاً : المعجزة قابلة للمقاء أمداً طويلاً وأما السحر فهو مريع الزوال . ويان ذلك أن المعجزة لما كانت بانجساز الله وتأييده وبى دائرة هرقه

(١) أنظر البهوات لابن تيمية ص ٢٩٦

(٢) أنظر المعجزة الخالدة لحسن ضياء الدين ص ٤٥

وسلطانه هو وجن كانت قابله للبقاء حسب ارادته ومشيمته تعالى وهو
الذى تعهد بالبقاء المطلق وله الخلق والإختيار ، فلا يعد هذا أن تكون
المعجزة تقابلة للبقاء على من المصور بدون تغيير ولا تبدل ، وهذا ما يناقض
السحر فإنه يستحيل عليه البقاء ، لأنه تأييد الله ، بل لفناء وكيف يعمل غيره
البقاء وهو لا يملكه لنفسه .

يقول الشمراني : من قلت ... فما الفرق بين المعجزة والسحر والشعوذة
(فالجواب) كما قاله الشيخ أبو طاهر رحمه الله أن الفرق بين المعجزة والسحر
ومعوذ أن المعجزة تمسح هي أثر الله بعدد التي رزقنا والسحر
مريب للزوال (١) .

وإن كان في كلام الشمراني ما يرمي أن ذلك في كل معجزة إلا أنه نزل
بهذا بل فك أمه قابله للبقاء لا ونية في كل معجزة ، والمثال في ذلك هو
المعجزة القرآنية .

عماماً : أن المعجزة تزداد وضوحاً وجلالاً مع الإشتغال ، وأما السحر
فبالإشتغال يستكشف ريقه ويحدث دوائه ، ويبان ذلك أن المعجزة لما كانت
بإذن الله وتأييده كانت مستنيرة بنور الله تعالى فكما ظهرت للعالم استكشفت
أمرها أزدادت وضوحاً وبياناً وجمالاً لتجلى طبع من النور الإلهي
وهذا ما يشاهد السحر فإنه إما كان يستمد ظلامه من ظلام الساحر كان
كلما ظهر ازداد ظلاماً وبطلاقاً وقبحاً .

وبهذه الفوارق تجعل لنا مكانه المعجزة من السحر وأن السحر بمخالف
المعجزة شيء محجب وهين لا يشبهها على وجه الحقيقة في شيء ، وقد
اعتبر بذلك علماء السحر ورواها لما شاهدوها بمخالف السحر وأيقنوا أن

(١) انظر البواقي والجواهر للشمراني ١٣ ص ١٦١

لا مستقر للسحر بحال المعجزة عند خروا سجدا وقالوا أما رب العالمين
رب موسى وهارون ، وأنابوا إلى الله مستغفرين (١) .

قال ابن زوى والفرق بين المعجزة والسحر والكرامة أن السحر يكون
بمعاونة أفعال وأعمال حتى يتم للساحر ما يريد والكرامة لا تحتاج إلى ذلك
بل أنها تنفع طالبها ، نفاذاً ، وأما المعجزة فتعتزل عن الكرامة بالتحدي .

وفض إمام الحرمين الإجماع على أن السحر لا يظهر إلا من فاسق ، ونقل
الدووي في زيارات الروضة عن المتولي صوف ذلك ، (هذا) ويثبت أن يسحر
بحال من يقع الخارق منه فإن كان متمسكاً بالشريعة متجنباً للموبقات
فالذي يظهر على يده من الخوارق كرامة وإلا فهو سحر لأنه ينشأ من أحد
أبوابه كإصابة الشياطين .

موقف المسكرين لحققة للسحر وتأثيره من الحديث الذي رواه البخاري
في سحر النبي ﷺ :

أنكر بعض المبتدعة حديث الذي رواه البخاري والذي يجب أن لا يبد
إس الأهم ند سحر النبي ﷺ وأن سحره أثر فيه طلب الصلاة والسلام ،
وزعموا أنه يحط من منصب النبوة ويقطع بها ، وقالوا كل ما أدى إلى
ذلك فهو باطل ، وزعموا أن تجويز هذا يؤدي إلى هدم الثقة به شره
محمد من التبرع إذ يحتمل على هذا أن يحل إليه أنه يوسى سجين وليس
هو ، ثم أنه يوحى إليه شيء ولم يوح إليه شيء .

ويرد على ما استدلل به هؤلاء بأن الدليل قد قام على صدق النبي ﷺ
على يمينه من الله تعالى وعن صميمه والنطق ، والمعجزة شاهدة بصدقه .

(١) انظر سورة طه الآيات ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٣

حسية كاديه ، والجمية تصل بين الصديقين كما يصل الليل من يسره به بظلمته
ولقد ذكرها عقب ذكر الماسق إذا وقع ولا يسمن على أحد أن يحتاط
ولهذا التحفظ من الحمام بأنه يذكر عند ما يذكر لصاحبه وأنت لا تعلم
ماذا يقول ولا ما يمكن أن يقول .

ولذا جاءك فرعاً دحل منك بما يشبه الصدق حتى لا يكاد يمكن تكديبه
ولا يد لك من هو أعظم من قوتك لتستبين بها وهي قوة الله وبعد أن قارن
بين النصيحة والسحر عير عن رأيه عير روى أن النبي ﷺ سحر وأثر فيه
السحر فقال : وقد رويها هذا الحديث أن النبي ﷺ سحره لبيد بن الأعصم
وأثر سحره فيه حتى كأن يجبل إليه فإنه يعمل الشيء وهو لا يفعل ، أو يأت
شيء وهو لا يأتيه وأن الله ابتأ بذلك وأخرجت مواد السحر من برعوون
ﷺ بما كان يزل به من ذلك وذلك هذه السورة ولا يخفى أن تأثير السحر في
نفسه عليه السلام حتى جس به الأمر إلى أنه يظن أنه يعمل شيئاً وهو لا
يعمله ليس من قبيل تأثير الأمراض في الأبدان ولا من قبيل هرو من السهو
والفسيان في بعض الأمور العادية بل هو ما من بالفضل أحد للروح وهو
ما يحصل فيه قول المشر كهم (إن نبيهم ولا رجلاً مسحوراً) وليس
المسحور عندهم إلا من حولط في عقله وحذل له أن ثبت يقع وهو لا يتبع
فيحيي إليه أنه يوحى إليه ولا يوحى إليه .

وقد وقع في حلق كثير من المحدثين القليل لا يعملون ما هي النبوة ولا ما ينبغي
له أن الخبر بتأثير السحر قد صح فيلزم الاعتقاد به وعدم التصديق به من
بدع المستدعين لأنه ضرب من أنكار السحر وقد جاء القرآن بصحة السحر
فانظر كيف ينقلب الدين الصحيح والحق الصريح في « ظرافة » بطله يعود
بأنه يصح بالقرآن على ثبوت السحر ويعرض عن القرآن في نية عنه
ﷺ وهذه من افتراء لشركيين عليه .

ويؤيد في هذه ولا يزال في تلك مع أن الذي قصده المشركون ظاهر
لأنهم كانوا يقولون أن للشيطان بلاهه عليه السلام — وملازمة الشيطان

تعرف بالسحر عندهم وحرب من حروبه ، وهو بعنه أثر السحر الذي
نسب إلى ليدس الأصم فإنه قد خالفه حقه وإذركم في رعيهم ثم قال والذي
يجب اعتقاده أنه القرآن معطوع به وأنه كتاب الله بالزواتر من المصوم
عليه السلام هو الذي يجب الإعتقاد بما يقينه وعدم الإعتقاد بما ينفيه .

وقد جاء في السحر عنه عليه السلام حيث نسب القول بإثبات حصول
السحر له إلى المشركين أعدائه ووعظهم على زعمهم هذا فإذا هو ليس
بمصور أصلاً ، ثم بين موقفه من الحديث فقال

١ - وأن الحديث على أمر من صحته هو آحاد والآحاد لا يؤخذ بها في
باب الإعتقاد بحصمه التي من تأثير السحر في عقله عقيدة من العقائد لا يؤخذ
في تعيها عنه إلا بأيقين ولا يؤخذ فيها بالأغلب والمعتدون .

٢ - على أن الحديث الذي يصل إلينا عن طريق الآحاد إما بمحصل
الأغلب عند من صحح عنده ، أما من قام به الأدلة على أنه ليس صحيح فلا
تقوم به عليه حجة .

٣ - وعلى أي حال يجب أن نأمر من الأمر في الحديث ولا يحكمه
في عقيدتنا ونأخذ به من الكتابين الذين العقل فإنه إذا غرطت في عقله
كما رسموا جرد عليه أنه نفس أنه بلغ شيئاً وهو لم يسمعه ، أو أن شيئاً بل
عليه وهو لم يدر عليه ، والأمر ظاهر لا يحتاج إلى بين .

٤ - ثم إن في السحر عنه لا يستلزم نفي السحر مطلقاً عما جاز أنه
بصير السحر غيره بالجنون نفسه ، ولكن من الحال أنه يصيبه لأن الله حصمه
ثم قال على أن في السحر بالمرء لا يجوز أنه بعد مبتدأه لأن الله تعالى ذكره
ما يعتقد به المؤمنون في قوله تعالى (أمر الرسول) وفي غيرها من الآيات
ووردت الأوامر يجب على المسلم أن يؤمن به حتى يكون مسلماً ولم يأتي
في شيء من ذلك ذكر السحر في أنه مما يجب الإيمان بتبرئته أو وقوعه على

الوجه الذي يشق به أولئك كل في منه بل الذي ورد في الصحيح وأن تعلم
السحر كفر فقد طلب منا أن لا ننظر بالمرء فيما يعرف عنه الناس بالسحر
ويسمى باسمه .

ثم بين رأيه في المراد بالسحر في القرآن فقال :

جاء ذكر السحر في القرآن في مواضع مختلفة وليس من الواجب أن
نفهم منه ما يفهم هؤلاء المفسرون قال السحر في اللغة صرف الشيء من
حقيقته .

قال القرآن في قوله تعالى (أولئك السحرة) أي أولئك السحرة
سحرة وأولئك هم من واحد .

ثم قال ومما علينا لو فهمنا من السحر الذي يعرف به مرء وزوجه ؟
تلك الطرق الخبيثة الدقيقة التي تصرف الزوج عن زوجته ولزوجته من
زوجها ؟

وهو بعد أن يكون مثل هذه الطرق لا يتعلم ولا يطلب له الأسانيد وهو
يرى أن كتب العت ودرسا تلقى عليهم أساليب التفريق بين الناس بل يريد
أن يكون من عمال السياسة في بعض الحكومات ثم هو السبب في ذكر
المرء وزوجه ولاقتصار عليهم فقال .

وقد يكون ذكر المرء وزوجه من قبيل التمثيل وإظهار الأمر في أجمع
صورة أي يقع من أمر ما يتمونه من ضروب الخيل وطرق الإغواء أن
يتكلموا عن التفريق بين المرء وزوجه وسيدوا لآية لا يابده وذكر الشياطين
لا يختص من ذلك به أن سمى الله جميع الناس المشركين بالشيء قال
(وردا سلوا إلى شياطينهم) وقال (شياطين الناس والجن يوحى بعضهم
إلى بعض) .

وللإمام محمد هذه رأى في سحر سحره مرءون فذكره اتصفا بين
رأيه في مسألة السحر كلها ثم يرى أن سحر سحره مرءون كان ضربا من

مخروب الحيلة ولذا قال (يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى) وما قال أنها تسعى بسحرهم قال يونس يقول العرب ما سحرك من وجه كذا ؟ أى ما صرفك عنه .

ولم يرتفع الاستاد الإمام أن سورة الفلق تزلت في سحر النبي ﷺ وأيد ما ذهب إليه ما روى عن بعض الصحابة والتابعين أن اليهودين مكيتان فقال :

وكتب يسمع أن تكون هذه السورة (أى سورة الفلق) تزلت في سحر النبي ﷺ مع أنها مكينة في قول هذه والحسن وجابر بن ربيعة كرسى ابن عباس - وما يزعمونه من أن السحر إنما وقع في ثلثيته ، ولكن من تعود القول بالمحال . لا يمكن الكلام معه بحال يعود بألفه من الحساب . ا ١٦٦ وما ذهب إليه الاستاد الإمام غير مسلم لأن ابتكار السحر من حيث هو أمر لا نسبه له أولا لأن السحر ثابت بنص القرآن في شأن سحر سحرة فرعون وفي شأن هاروت وماروت وقد كان موسى عليه السلام يخيل إليه من سحرهم أن جبالهم وعصيرهم تسعى ، وطسه لدا أوجس في نفسه خيفة منهم .

ثانيا : قد ثبت ضرر السحر إذا شاء الله وذلك بنص القرآن (وما هم بضارين به من أحد إلا بأذن الله) وقد ينتهي الاضرار إلى الضرر أو الأسرار النعمى أو الجنون .

ثالثا : نحن نليدة الشيخ رشيد رضا وقائع حجية من السحر و أفادت والتبت في كتابه (الوحى المحمدى) نقلا عن كتاب (العالم صبر المنطور) فقد كتور السكندر العتيق الاعلى يرى منسحق الامراض النفسه بلندن ، لطفا كان لا يدعى بالاستاد لامام أن ينشئ السحر بصفة عامة ويقول ما جاء منه في القرآن بخروب الخيل وطرق الامداد مع أنه ثابت في الواقع وثق

(١) انتهى ملخص من تفسير جزء عمه للشيخ محمد عبده ص ١٨٢ ١٨٥

أثاره الضارة والذكان معروفاً عند قدماء المصريين حيث لا زالوا يهابون وهو واضح في قصة سحرة فرعون حيث أثار سحرهم وأعمال والخصى بالرشقة جعلت موسى عليه السلام يقول إليه اأنا نعى ولما التقى عصاه ابتلعت ما سحره (١) .

ولما تسميه البحر الذي يفرق به بين البحر ووجهه بالبحر وهو صرب من التأويل الخائع فيه وما دام الله تعالى أخيراً أن الشيء طين كفروا يطعون الناس السحر وأن الناس تعلموا من المنسكين هاروت وماروت ما يراون به بين المرأة ووجهه عيسى هناك بحال التأويل هذا الذي هو سحراً بالسمجة فلو كان من باب التسمية لعرفه القرآن بذلك ولو سلمت أن سحر سحرة فرعون كان من باب التحمل فلا يصح هنا دليل على وجود البحر وتأثيره بالسكينة .

وأما استبعاد الأستاذ الإمام لحديث سحر النبي ﷺ فقد غاب به وذلك جمهور علماء المسلمين ولم يقل به إلا المتزلة وفلة من صيرهم ولحديث ثابت في صحيح البخاري وهم من كذب السنه والتشكيك في ما سمعت رويته من الحديث أمر خطير لأنه يمسح الباب لإعداد الاسلام كاشككرا ويظنوا في السنه المعاصرة وهي المصنوع الفاني للتشريع بعد القرآن الكريم .

وقد جاءه في موقعه من الحديث تلميذه الشيخ رشيد رضا قال في تفسيره للمصنف والسور الست القصص ص ١٣٩

وقد محضت هذه المسألة مراراً ، أنتم ما هي الرد على مجلة علوم الآدمي (لورد الإسلام) هي زعمها المقتضى ، نبي كذبت حديث البخاري في سحر النبي ﷺ فيثبت أن الحديث الصحيح في هذه المسألة من عائشة رضي الله عنها ، توهم بعض رواياته ما هو أهم من المسمى الخاص الذي أرادته وهو مباشرة الزوجية بين النبي ﷺ وبينها فنقول .

كان يحيل إليه أنه يفعل الشيء وهو لا يفعله كناية عن هذا الشيء الخاص لا العام في كل شيء فلا يدخل في شيء من أمور التشريع ولا غير عتبار الزوج من الأمور العقيدة أو الأعراس الدينية فضلاً عما كان يريد الذين يرمون الأنبياء بالسحر والجنون لأن أمورهم مرقى المعقود عند أولئك الكافرين فالمسألة محصورة فيما يسمونه حتى الآن (الربط أو العقد) أي عقد الزوج من مباشرة زوجته فقط .

وقد ذهب أئمة الحديث إلى أن غاية ما تدل عليه أسانيد السحر : — أن ذلك السحر أثر في بدنه عنه دون روحه وعقله فكان تأثيره من الأعراس الجسدية التي لم يصح بها الأنبياء .

وأما قول الأستاذ الامام أن معرودين مكتان على قول بعض الصحابة والتابعين وجوابه أنه بأن لا مانع من تكرار ذلك بمكة مرة وبالمدينة مرة بعد استحراج ما صنعه ليبد من الأعراس من سحر النبي عليه السلام من البحر .

وقد مر القصر البصري الفدائات «السواحر أخرج البصري بسند صحيح وذكره أبو حنيفة أيضاً في البحار قال الدهائقات والسواحر وأخرج الطبري أيضاً عن جماعة من الصحابة وغيرهم أن النكت في العقد هو السحر .

وقد وقع في حديث ابن عباس فيما أخرجه البيهقي من الأدال بسند صحيح في آخر قصة السحر التي سحر به النبي عليه السلام أنهم وجدوا وعرفاه إحدى عشرة عقدة وأزلت سورة الفلق والناس وجعل كلما قرأ آية التلى عقده وأخرجه ابن اسحاق بسند آخر منقطع عن ابن عباس أن علياً ومهراً ما بينهما النبي عليه السلام لاستحراج السحر وجداً طلعها إحدى عشرة عقدة فذكر نحوه . وهاتان الرويتان تدلان على أن المعرودين قد زوتا بالمدينة وهي أن المراد بالدهائقات في العقد للسواحر الألفي يصدق العقد ويصدق فيها بقصد السحر .

ولا حجة للأستاذ الإمام وغيره من قالوا بأن السحر تحيل لا حقيقة له بقوله تعالى في شأن سحرة فرعون (يعين إليه من سحرهم أنها تسعى) لأنها وردت في قصة سحرة فرعون وكان سحرهم كقولك ولا يهيم به أن يهيم أمر مع السحر تحيل . وعن ذهبوا إلى أن سحر سحرة فرعون كان حرماً من جبروت التحير أبو بكر الجصاص فقد قال في كتابه أحكام القرآن أحمر الله تعالى أن يبدى ظنه بمومن من أنها تسعى لم يكن سحياً وإنما كان تحيلاً وذلك أن عصيم كانت عرفة وقد ملئت زائفاً وكنكك الخصال كانت من آدم حشرة زائفاً وقد حفروا قبل ذلك أسراراً وجعلوها آزاراً ومثلها ناراً فلما طرحت على ذلك الموضع وهي ابريق حر كها لأن من شأن الرقيق إذا أصابه النار أن يحير بك أنفثته كغاية الخيال والعصى صارت تتحرك بحركته ، فقل من رآها أنها تسعى ولم تمكن له حقيقة .

الرأي الرابع :

ويجد أن ذكرت أدلة المذهبين لحقيقة السحر وأثره وأدلة القائلين بأن لا حقيقة له ولا تأثير .

أستطع القول أن الرأي الرابع هو رأي الجمهور وهو أن السحر له حقيقة وله تأثير على النفس والجسم لأن إلقاء البنضاء بين الروح وبين النفس هو المهر وأمر الله أن يهيم القرآن الكريم ليس إلا أنراً من آثار السحر ولو لم يكن السحر تأثيراً لأمر القرآن بالتمرد من شر المحدثات في البقود كنهم ما يكون هذا السحر بالاستعانة بأرواح الشياطين فمن نظر بأن له أنراً هو ضرراً ، ولستكن أثره وضرره لا يصلح إلا للشخص إلا يادى الله فهو سبب من الأسباب الطاهرة التي تتوقف على مشيئة صيب لا مساب رب العالمين جيل وعلا .

ونظر أيضاً أن منه ما يدخل في التحيل والإيهام النفس وقد مر في

لنا في هذا البحث الفرق بين السحر والكرامة والمعجزة بما يرد استدلال
المتكبرين له بأن القول بأن السحر حقيقة وتأثير يؤدي لاحتلاله
بالمعجزة والكرامة وإلى احتيال ورد الكذب على سر الأنبياء

قال القرطبي لا ينكر أحد أن يظهر على يد السحر خرق للعدايات بما
ليس في مقدور البشر من حرص وتعميق وزوال عقول وتوحيج عيون إلى
غير ذلك مما قام الدليل على استحالة كونه من مقبورات البشر، قالوا ولا يبعد
في السحر أن يستند جسم السحر حتى يسج في الكرات والخروجات
والانصباب على رأس نفسه والأخرى على حيط مستند والغير أن في الهواء
والمنى من الماء وركوب كلب وغير ذلك، ومع ذلك فلا يكون السحر مرجعاً
لذلك ولا قوة لوقوعه ولا سبباً مولداً ولا يكون السحر مستقلاً به ولا عما
يصدق به تعالى الأشياء ويحدثها عند وجود السحر كما يظن الذبيح عند الأكل
والرى عند شرب الماء . ثم قال : أجمع المسلمون على أنه ليس في السحر
ما يفعل فيه عند من يزال الجراد والقمل والصدع وفق السحر وقلب
الماء والحياة الموت والنطاق السحاب . وأمثل ذلك من عظيم آيات الرسل عليهم
السلام فهذا ونحوه مما يجب القطع بأنه لا يكون ولا يفعله الله عند إرادة
الساحر (١) .

وقال أبو حيان اختلط في حقيقة السحر على أهوال :

الأول : أنه قلب الأعين واختراعها بما يقبض به المعجزات والكرامات
كالطيران ووضع المسافات في ليلة .

الثاني : أنه مدح ونموها وتشددة لاحقيقة لها ، وهو قول المعجزة .
الثالث : أنه أمر يأخذ بالعين على وجه الخوة كما فعل سحره فرعون
حيث كانت حالهم وصيهم عمرة زنتاً ، لجر وانحنا ناولا لصيت الحبال
والمنى ونحركت وصحت .

الرابع : أنه أروع من خدمة البحر والاستعانة بهم وهم الذين استخرجوه من جسد لطيف ملطف رقيق وحق .

الخامس : أنه مركب من أجسام تجمع ونحرق ويعل عليها أسماء وهوائهم ، ثم تستعمل في أمور السحر .

السادس : أن أصله حليقات تبقى على تأثير صفاتها الكواكب ، أو استخدام الفياحين لتسهيل مخرجها .

السابع : أنه مركب من كرات مزوجة بكثرة وقد ضم إليها أنواع من الشعيرة والنار نهيمات والعرائم وما يجري مجرى ذلك .

ثم قال : وأما زماما الآن بكل مدركه عليه في الكتب هو كذب واعتراء ولا يترب عليه شيء ولا يصح منه شيء اليه ، وكذلك العرائم وضرب هندس والناس يصدقون هذه الأشياء ، ويصفون إله (١) .

ونقل من حيدر عن المازري قوله (وهو العلماء على إجابات السحر ، وأن له حقيقة وإن يصعب حقيقته وأصناف ما يقع منهم إلى حيلالات باطلة وهو مردود لورود النقل بإبانت السحر (٢) .

هل يباح تعلم السحر وتعليمه :

ذهب بعض العلماء إلى أن تعلم السحر مباح واستدلوا بتعليم الملوك : هاروت وماروت السحر للناس كما حكى القرآن المكرم ذلك ، ومن ذهبوا إلى هذا الرأي الفخر الرازي من علماء أهل السنة .

قال رحمه الله تفق المحققون على أن العلم بالسحر ليس بقبيح ولا معدوم

(١) تفسير البحر المحيط ج ١ ص ٣٢٧

(٢) فتح الباري ج ٢١ ص ٣٥٢

لأن العلم لدانته شريف لعموم قوله تعالى : (هل يستوي الذين يعلمون ،
والذين لا يعلمون) .

ولو لم يعرف السحر لما أمكن الفرق بينه وبين المعجزة . فكيف يكون
تعلمه حراماً وقبيحاً ، وبطل بعضهم وجوب قتله عن المتيقن حتى يعلم ما يقتل
به وما لا يقتل به . فيفتى به في وجوب القصاص . وقد عقب الألباني عن
مقاله السحر الزرى رحمه الله فقال : — ولحقى هتدى احربه تبعاً للجسورة
إلا لداهى شرعى ، وهذا قاله الإمام الزارى رحمه الله نظر .

فأما أولاً : فلا بد من ادعى أنه قبيح لدانته وربما فسده لما يترتب عليه ،
وتحريمه من باب سد الرذائع وكمن أمر حرم لذلك .

وأما ثانياً : فلا بد توقف الفرق بينه وبين المعجزة على العلم به ممنوع ،
ألا ترى أن أكثر العلماء أو كلهم عرفوا الفرق بينهم ولم يعرفوا علم السحر
ولو كان واجباً لأهدى أعم الناس به الصدر الأول .

وأما ثالثاً : فلا بد ما نقل عن بعضهم غير صحيح لأن إفتاء المتيقن وجوب
القتل أو عدمه لا يحتاج لمعرفة علم السحر لأن ضرورة إفتائه على ما ذكره
العلامة ابن حجر أن شهد عدلان عرفاً بالسحر وتاها به أنه يقتل غالباً قتل
الساحر وإلا لم يقتل (١) .

هذا وقد أجاز بعض العلماء تعلم السحر لأحد أمرين :

١ — إما اختيار ما فيه نفع من غيره .

٢ — وإما لإزالته عن وقع فيه .

فأما الأول فلا يظهر به إلا من جهة الاعتقاد فإذا سلم الاعتقاد
فمعرفة الشيء مجردة لا تستلزم منعاً كمن يعلم كيفية عبادة أهل الأوثان

للإيثان ، لأن كعبه ما يحلله السحر إنما هي جكاة قول أو فعل بخلاف تعامله وتعامل به .

وأما الذي : فإن كان لا يتم إلا كما رهم بعضهم إلا ينزع من أنواع الكفر أو الفسق فلا يحسن أصلاً ولا جاز للمعنى الله كود .

ودفع الجهور إلى حرمة نعم السحر أو تعليمه لأن القرآن الكريم قد ذكره في معرض النهي ، وبين أنه كفر مكيف يكون حلالاً ، كما أن رسول الله عليه الصلاة والسلام عدده من الموبقات كما في الحديث الصحيح وهو قوله صلوات الله وسلامه :

(اجبيروا السبع الموبقات ، قالوا وما هي يا رسول الله ؟ قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم والتون يوم الرحف وقلوب المحصنات الفاحشات) .

قال ابن حجر وقد استدل بهواه تعالى (واتجهزوا ما تنبر الشياطين) هل أن السحر كفر ومتطلبه كافر .

وقال النووي من السحر حرام . وهو من الكبائر بالإجماع وقد عدّه النبي ﷺ من السبع الموبقات ، ومنه ما يكون كفر ومنه ما لا يكون كفر بل معصية كبيرة ، فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر فهو كفر ، وإلا فلا . وأما تعليمه فحرام (١) .

وقال أبو حنبل وأما حكم السحر فما كان منه معظم به غير الله من السكواكب والتشاميم وبصالح ما يحدثه الله إليها فهو كفر إجماعاً لا يحل نفيه ولا العمل به وكذا ما قصد منه سبك الدماء والتعريق بين الزوجين والأصدقاء .

وأما إذا كان لا يعلم منه شيء من ذلك بل يحتمل فالظاهر أنه لا يحسن نفيه ولا العمل به ، وما كان من نوع التحيل والمجمل والتعبد فلا ينبغي

تعبه لأنه من باب الباطل ، وإن قصد به الطوبى والحب وتبريح الناس على حجة صحت فيكره (١) .

ورأى الجمهور هو الصحيح لأن القوم يجوز أن تعلم السحر وتعلمه به مع حتى الناس أبواب من الشر يجب اعتدالها ، وقد يؤدى إلى إفساد صفاتهم به زاعمين أن الشرع يبيح لهم ذلك وأما إباحة تعبه وتعليمه فيها فصاحح إجمال للمجاهدين والمشهودين للعبث بالآله وحرف الناس عن الطريق المستقيم وهو طريق القرآن والسنة .

هل يعد الساحر كافراً وهل يجب قتله

إختلف الفقهاء في حكم الساحر فروى عن أبي حمزة أنه قال : الساحر يقتل إذا علم أنه ساحر ولا يستتاب ولا يقبل قوله أى أترك السحر وأتوب منه فإذا أقر أنه ساحر فقد حن دمه ، وكذلك للمسلم المذموم والحر الذى من أقر منهم أنه ساحر فقد حن دمه وهذا كله قول أهل حنيفة .

وقال بن شجاع لحكم في الساحر والسحرة حكم لمارتد والمرتدة وقال بقلا عن أبي حنيفة أن الساحر قد جمع مع كفره السحر في الأرض بالفساد والساحر بالفساد إذا قتل لقتل .

وروى عن مالك في المسلم إذا تولى من السحر قتل ولا يستتاب لأن المسلم إذا ارتد باحتنا لا تعرف توبته باظهاره الإسلام فأما الساحر أهل الكتاب فإنه لا يقتل عند مالك إلا أن يضر بالمسلمين فيقتل .

وقال الشافعى لا يكفر بسحره من قتل بسحره وقال مسرى يقتل بمثله ، ونعمه ذلك قس لوداد إن قال قد يقتل وقد يخطئ لم يقتل وفيه مذهبه .

وقال الإمام أحمد يسكفر بسحره قتل به أولم يقتل ، وهو ثقيل ثوبته
عنه في ذلك روايتان :

فأما ساحر ، أهل الكتاب فإنه لا يقتل إلا أن يضر بالمسلمين (١) .

وقد احتار الجاهل القول يسكفر الساحر لقوله تعالى (وما كفر
سليمان وإسحق الشياطين كفروا يعطون الناس السحر) فإن ظاهرها أنهم
كفروا بذلك ولا يسكفر بتعليم الشيء إلا وذلك النبي ، كفره وكذا قوله
في الآية عن لسن المسلمين (إنما عن متلة فلا تسكفر) فإن فيه إشارة إلى
أن تعلم السحر كفر فيكون العمل به كفر اهـ (٢) .

وقال من حجب ذلك (استدل بقوله تعالى (واليهوا ما تتلوا الشياطين)
على أن السحر كفر ومتعبه كافر ، وهو واضح في بعض أنواعه التي
فصلتها وهو التصديق للشياطين أو الكواكب وأما النوع الآخر الذي هو من
باب الشعرة فلا يسكفر به من تعلمه أصلا .

وقال النووي عمل السحر حرام وهو من الكائنات بالاجماع وقد عده
المسلم حلالا عليه وسلم من البيع للوقيفات ومنه ما يكفر به الكفر ، ومنه
عالا يكون كفرا بل معصية كبيرة فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر
فهو كفر وإلا فلا .

وأما عده وتعليمه لحرام ، فإن كان منه ما يقتضي الكفر كفر
واصله منه ولا يقتل ، فإن تاب قُبِلَ عمره وإن لم يكن فيه ما يقتضي
الكفر عذر .

وقد استدل من ذهبوا إلى عدم كفر الساحر بقوله تعالى (ولا يطلع
الساحر حث أتى) وقالوا إن في الآية نفي الفلاح عن الساحر وليست فيه
دلالة على كفر الساحر .

(١) الألوحي ج ١ ص ٢٤٠

(٢) فتح الباري ج ٢٩ ص ٢٥٤ السكيات الأخرية .

وان كثر في القرآن إثبات الفلاح للثمن ونفيه عن المكافر ويمكن
ليس فيه ما ينفي الفلاح عن الفاسق وكذا العاصي .

وخلاصة آراء الأئمة في هذه المسألة أن أبا حنيفة يذهب إلى كفر
الساحر ويبيع نفسه ولا يستتاب عنده ، والساحر المكتتاب حكمه
كالساحر للمسلم .

أما الشافعي فيقول بعدم كفر الساحر ولا يقتل عنده إلا إذا تمت
القتل .

وأما مالك : فيرى قتل الساحر المسلم لا ساحر أهل الكتاب ويحكم
بكفر الساحر .

هذا وقد حذر الإسلام من تعاظم السحر للأذى وجاءت تعاليمه بدمه
وتفريجه وتوعد مرتكبه بالعقوبات الأليمة من الحديث الشريف (حد
الساحر ضربه بالسيف) .

وهذه هي أدلة القائلين بكفر الساحر :

١ — ما روى عن نافع عن بن عمر أن جارية حفصة سحرتها وأخذوها
فأمرت بذلك فأمره عبد الرحمن بن زيد فقتلها ، فبلغ ذلك عثمان فأكرهه
فأناه بن عمر وأخبره أمرها ، فكان عثمان إنما أنكر ذلك لأنها قتلت
بغير آذنه .

٢ — ما روى عمرو بن دينار أنه ورد كتاب عمر رضي الله عنه أن أقتلوا
كل ساحر وساحرة ، فقتلنا ثلاث سواحر .

٣ — قال علي بن أبي طالب أن هؤلاء المرافقين كهان العجم ، فمن أتى
كاهنا يؤمن له بما يقول فقد برى . مما أنزل الله على محمد ﷺ .

أما القائلون بعدم كفر الساحر فقد احتجوا بأن الساحر اليهودي
لا يقتل لأنه عليه الصلاة والسلام سحره رجل من اليهود . يقال له لبيد

ابن الأصم وامرأة من يهود خيبر يقال لها - زريق - فلم يقتلها فوجب
أن يكون المؤمن كذلك ، لقوله عليه الصلاة والسلام (لم يقاتلني
وعليم ما على المسلمين) .

وأجابوا عن استدلال القائلين بأن عمر أمر بقتل السحرة فقالوا لم
السحرة كانوا من الكفرة فإن حكاية الحال يكفي صدقها صورة واحدة .

هل يستخرج السحر أم لا :

ذهب سعيد بن المسيب إلى جواز استخراج السحر قال قتادة قلت
لسعيد بن المسيب : رجل به طب أو يأخذ من امرأة أيميل منه أو ينشر؟
قال لا بأس به إنما يريدون به الإصلاح فأما ما ألحق قلم ينهى عنه .

وأخرج الطبري في التهذيب عن طريق يزيد بن زريع عن قتاده عن
سعيد بن المسيب أنه كان لا يرى بأسا إذا كان بالرجل سحر أن يمشی إلى من
يطلق عنه ، فقال هو صلاح .

وقد سئل الإمام أحمد عن يئلق السحر عن المسحور فقال لا بأس به
وهذا هو المتمد .

وذهب الحسن البصري إلى كراهة ذلك وكان يقول لا يعمده إلا ساحرا
وقد أخرج أبو داود في المراسيل عن الحسن رفعه (الفثرة من عمل الشيطان)
ووصله أحمد وأبو داود بسند حسن عن جابر قال بن الجوزي الفثرة حل
السحر من المسحور ولا يكاد يقدر عليه إلا من يعرف السحر .

وقد أجاب المخبرون لاستخراج السحر والسحر إلى أبطله عن الحديث
الذي رواه الحسن بأن قوله الفثرة من عمل الشيطان إشارة إلى أصلها ،
ويختلف الحكم بالقصد . فمن قصد بها خيرا كان خيرا وإن لم يفر شرا .

وقالوا أن الحصر المنقول عن الحسن في قوله لا يعمل ذلك إلا ساحرا ليس على ظاهرة لأن السحر قد ينحل بالرق والأدوية والتعويذ . ولكن يحتمل أن تكون الفثرة نوعين :

ويوافق قول سعيد بن المسيب حديث جابر عند مسلم مرفوعا (من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل) .

ويؤيد مشروعية الفثرة حديث قوله عليه السلام العين حق في قصة أغشال العائن .

وقد أخرج عبد الرزاق عن طريق الشعبي قال لا بأس بالفترة العربية التي إذا وطأت لا تغيره ، وهي أن يفرج الإنسان في موضع عشاء فيأخذ عن يمينه وعن شماله من كل . ثم يذقه ويقرا فيه ثم يقتل به . وذكر ابن بطال أن في كتب وهب ابن منبه أن يأخذ سبع ورقات من صدر أخضر فيذقه بين حجرين ثم يضربه بالماء ويقرا فيه آية الكرسي والقواقل (المعوذتين والأخلاص) . ثم يحسونه ثلاث حسوات ثم يقتل به فإنه يذهب منه كل ما به وهو جيد الرجل إذا احتبس عن أهله .

وقال بن كثير بعد أن ذكر هذه الفوائد وأنفع ما يستعمل لأذهاب السحر ما أنزل الله على رسوله في أذهاب ذلك وهما المعوذتين .

وفي الحديث (لم يتعوذ بشئهما) . وكذلك قراءة آية الكرسي فإنها مطردة للشيطان .

ومن صرحوا بموارد الفثرة المأذون صاحب الشافعي وأبو جعفر الطبري وغيرهما .

والله أعلم

الخاتمة

هذا .. وما هو غنى عن البيان أن أذكر أن الكتاب والسنة قد جاء
فيهما ما يقبض ذم السحر والسحرة، وما يدعو المسلمين إلى عدم تصديق
الذجالين والمشعوذين . فلو كان هؤلاء يستطيعون فعلاً . لنفخوا أنفسهم .
والواقع الملاحظ يدان على أن الذين يشتغلون بالسحر والشعوذة تكون
نهايتهم سيرة وخاتمة حياتهم بؤس وعطلة ومهما جمعو من مال فإنهم يموتون
فقراء ، وترى وجوههم دائماً عليها حيرة ، ترهقها تعبارة .

ومصدق الله العظيم الفائل (ولا يفلح الساحر حيث أتى) وقال الإمام
على كرم الله وجهه (من أتى كاهناً يؤمن له بما يقول فقد برى عما أنزل
الله جل محمد ﷺ) . وقد عد الرسول ﷺ السحر من السبع الموبقات
أي المهلكات .

هذا وقد وردت كلمة (سحر) مشتقاتها في القرآن الكريم نحو إنهم
يشترون مرة . وقد أفاض القرآن الكريم في الحديث عن سحرة فرعون
كما جاء في سورة البقرة الحديث عن سحر هاروت وماروت ، ولولا ضيق
الخطام لتنازلت الآيات التي تحدثت عن سحرة فرعون وعن هاروت وماروت
بشيء من التفصيل .

وأسأل الله التوفيق والسداد . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم : وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

دكتور

عبد المنعم مدوح رباح